Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خاصة فى التأليف يرجع الحسن فيها إلى تريتب المعانى . لا إلى انتقاء الألفاظ : « فاذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا أو يستجيد نثرا ، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حلو رشيق ، وحسن أنيق وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فأعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف ، وإلى ظاهر الوضع اللغوى ، بل إلى أمر يقع من المرء فى فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل من زناده . وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه ، وكونه من أسبابه ودواعيه فلا يكاد يعدو نمطا واحدا ، وهو أن يكون اللفظ مما يتعارف الناس فى استعمالهم ، ويتداولونه فى زمانهم ، ولا يكون وحشيا غريبا أو عاميا سخيفا[1] » . وهو نص ثرى كل الثراء فى دلالاته :

لان الجمال الأدبى فى نظره لا يرجع إلى جرس الحروف وطنينها . وانما يرجع إلى المعنى والسياق ، وهذا المعنى إما وجدانى« يقع من المرء فى فؤاده » ، وإما عقلى » يقتدحه العقل من زناده » والوجدان والعقل يتحركان بالمعنى فى نفس الأديب ، ويمليان ما يقتضيه هذا المعنى من الألفاظ . ولأن الجمال الأدبى لا يرجع إلى ظاهر الوضع اللغوى ، حتى يكون الأدب فى الكلمات اللغوية ، وفى انتقائها وكثرتها ، فالأمر كما قال « الجاحظ » اذا كثر الأدب وفلت القريحة كان وجود الأدب شرا من عدمه » .

وكما أن الأدب لايكون فى الألفاظ اللغوية وكبكبتها.لا يكون فى الوقوف به عند ظواهر الأوضاع اللغوية ، والا بطلت الصور فى الأدب من استعارة وتشبيه فما الاستعارة والمجاز إلا خروج على الأوضاع اللغوية بمناسبة ومقتضى يلائمان ما بين المعانى المنقولة منها الألفاظ ، إلى المعانى المنقوله اليها .

اما عناية الأدباء بالألفاظ ، واضفاؤهم عليها وحدها صفات خاصة من الحسن والرشاقة فشبهة نترك لعبد القاهر شرحها كما أراد : « وسبب دخول الشبهة على من دخلت عليه ، أنه لما رأى المعانى لاتتجلى للسامع إلا من الألفاظ ، وكان لا يوقف على الأمور التى بتوخيها يكون النظم إلا بأن ينظر إلى الألفاظ مرتبة على الانحاء التى يوجبها ترتيب المعانى فى النفس ، وجرت العادة بأن تكون المعاملة مع الألفاظ .

---

(١) اسرار البلاغة صفحة ٢ ، ٣ ، ١٩٢٥ .